رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم فقال يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك
في أمتك ولا نسوءك عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حتى أصبح بآية والآية إن تعذبهم فإنهم
عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم قوله عز وجل قال الله هذا يوم ينفع الصادقين
صدقهم اتفق جمهور العلماء أن المراد بهذا اليوم يوم القيامة والمعنى أن صدقهم ينفعهم في الدنيا
في الآخرة لأنه يوم الإثابة والجزاء لما نفعهم صدقهم في الدنيا تبين نفعه يوم القيامة قال قتادة
متكلمان لا يخطئان يوم القيامة عيسى عليه السلام لأنه يقول ما قص الله عليه ما قلت
لهم إلا ما أمرتني به الآية فكان هذا في الدنيا والآخرة فنفعه صدقه وأما المتكلم الآخر إبليس
فإنه يقوم فيقول وقال الشيطان لما قضي الأمر الآية فصدق عدو الله فيما قال ولم ينفعه صدقه
وقال عطاء هذا يوم من أيام الدنيا لأن الآخرة دار جزاء لا دار عمل وذهب في هذا القول إلى أن الآية
أن الصدق النافع إنما يكون في الدنيا وهذا القول ضعيف على مذهب السدي حيث يقول إن هذه المخاطبة
جرت مع عيسى عليه السلام حين رفع إلى السماء والوجه ما ذهب إليه الجمهور ثم ذكر الله تعالى ما لهم
من الثواب على صدقهم فقال تعالى لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا يعني إشارة
إلى ما يحصل لهم من الثواب الدائم الذي لا انقطاع له ولا انتهاء رضي الله عنهم يعني بطاعتهم له
ورضوا عنه يعني بما أعطاهم من ثوابه وجزيل كرامته ذلك إشارة إلى ما ذكره من ثوابهم الفوز
العظيم يعني أنهم فازوا بالجنة برضوانه عنهم ونجوا من النار لله ملك السماوات والأرض
وما فيهن عظم الله عز وجل نفسه عما قالت النصارى يعني الذي له ملك السماوات والأرض هو الذي
يستحق الألهية لا ما قالت النصارى من الألهية عيسى المسيح ولأنهما من جملة من في السماوات والأرض
فهما عبيده وفي ملكه وقيل هو جواب لسؤال مضمر هو في الكلام كأنه لما وعد الصادقين بالثواب
العظيم فقيل من يعطيهم ذلك قال الذي له ملك السماوات والأرض ومن فيهن وهو على كل شيء
قدير والله أعلم

تفسير سورة الأنعام

فصل في ذكر نزولها وروى مجاهد عن ابن عباس أن سورة الأنعام مما نزل بمكة وهو
قول الحسن وقتادة وجابر بن زيد وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس قال نزلت سورة الأنعام
جملة ليلا بمكة وحولها سبعون ألف ملك وروى أبو صالح عن ابن عباس قال هي مكية نزلت جملة
واحدة ونزلت ليلا وكتبوها من ليلتهم غير ست آيات منها فإنها مدنيات وهي قوله تعالى قل تعالوا
أتل ما حرم ربكم عليكم إلى آخر الثلاث آيات وقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره الآية وقوله تعالى ومن
أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي إلى آخر الآيتين وذكر مقاتل نحو هذا وزاد آيتين
وهي قوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق الآية وقوله تعالى الذين
آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الآية وروي عن ابن عباس وقتادة أنهما قالا هي
مكية إلا آيتين نزلتا بالمدينة قوله وما قدروا الله حق قدره وقوله وهو الذي أنشأ جنات
معروشات وغير معروشات الآية ولما نزلت سورة الأنعام ومعها سبعون ألف ملك قد سدوا
ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان ربي
العظيم سبحان ربي العظيم وخر ساجدا ذكره البغوي وروي عنه مرفوعا من قرأ سورة الأنعام
صلى عليه أولئك السبعون ألف ملك ليله ونهاره وذكره بغير سند والله سبحانه وتعالى أعلم
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض

قال كعب الأحبار هذه الآية أول آية في التوراة وآخر آية في التوراة قوله تعالى وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا
الآية وفي رواية عنه أن آخر آية في التوراة آخر سورة هود قال ابن عباس افتتح الله الخلق بالحمد لله
فقال الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وختمه بالحمد فقال تعالى وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب
العالمين وفي قوله الحمد لله تعليما لعباده كيف يحمدونه أي قولوا الحمد لله وقال أهل المعاني لفظه خبر
ومعناه الأمر أي احمدوا الله وإنما جاء على صيغة الخبر وفيه معنى الأمر لأنه أبلغ في البيان من حيث إنه جمع
الأمرين ولو قيل احمدوا الله لم يجمع الأمرين فكان قوله الحمد لله أبلغ وقد تقدم معنى الحمد في تفسير سورة
فاتحة الكتاب بما فيه مقنع الذي خلق السماوات والأرض وإنما خصهما بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات فيما
يرى العباد لأن السماء بغير عمد ترونها وفيها العبر والمنافع والأرض مسكن الخلق وفيها أيضا العبر والمنافع
وجعل الظلمات والنور الجعل هنا بمعنى الخلق أي وخلق الظلمات والنور قال السدي يريد بالظلمات
ظلمات الليل وبالنور نور النهار وقال الحسن يعني بالظلمات الكفر وبالنور الإيمان وقيل يعني بالظلمات
الجهل وبالنور العلم وقيل الجنة والنار قال قتادة خلق الله السماوات قبل الأرض وخلق الظلمة قبل النور
وخلق الجنة قبل النار وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله خلق خلقه
في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل ذكره البغوي بغير سند
ثم الذين كفروا بربهم يعدلون يعني والذين كفروا والعدل هذا البيان بربهم يعدلون ليشركون وأصل العدل
مساواة الشيء بالشيء والمعنى أنهم يعدلون بالله غير الله ويجعلون له عديلا من خلقه فيعبدون الحجارة
مع إقرارهم أن الله خلق السماوات والأرض وقال النضر بن شميل الباء في قوله بربهم بمعنى عن أي عن ربهم
يعدلون وينحرفون من العدول عن الشيء وقيل دخول ثم في قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون لدليل على معنى
لطيف وهو أنه تعالى دل به على إنكاره على الكفار العدل به وعلى تعجيب المؤمنين من ذلك ومثاله أن تقول
لرجل أكرمتك وأحسنت إليك ثم أنت لا تشكرني وتجحد إحساني فتقول ذلك منكرا عليه ومتعجبا من فعله
قوله تعالى هو الذي خلقكم من طين يعني أنه تعالى خلق آدم من طين وإنما خاطب ذريته بذلك لأنه أصلهم
وهم من نسله وذلك لما أنكر المشركون البعث وقالوا من يحيي العظام وهي رميم أعلمهم بهذه الآية
أنه خلقهم من طين وهو القادر على إعادة خلقهم وبعثهم بعد الموت قال السدي لما أراد الله عز وجل أن يخلق
آدم بعث جبريل إلى الأرض ليأتيه بقبضة منها فقالت الأرض إني أعوذ بالله منك أن تنقص مني فرجع ولم
يأخذ منها شيئا فقال يا رب عاذت بك فبعث الله ميكائيل فاستعاذت فرجع فبعث الله ملك الموت فعاذت
منه فقال وأنا أعوذ بالله أن أخالف أمره وأخذ من وجه الأرض فخلط الحمراء والسوداء والبيضاء فلذلك اختلفت
ألوان بني آدم ثم عجنها بالماء العذب والملح والمر فلذلك اختلفت أخلاقهم ثم قال الله لملك الموت رحم
جبريل وميكائيل الأرض ولم ترحمها لا جرم أجعل أرواح من أخلق من هذا الطين بيدك عن أبي موسى الأشعري
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله تبارك وتعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع
الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث
والطيب أخرجه أبو داود والترمذي وأما قوله تعالى ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده فاختلف
العلماء في معنى ذلك فقال الحسن وقتادة والضحاك الأجل الأول من وقت الولادة إلى وقت الموت والأجل
الثاني من وقت الموت إلى وقت البعث وهو البرزخ وروي نحو ذلك عن ابن عباس قال لكل أحد أجلان
أجل إلى الموت وأجل من الموت إلى البعث فإن كان الرجل تقيا برا وصولا للرحم زيد له من أجل البعث
في أجل العمر وإن كان فاجرا قاطعا للرحم نقص من أجل العمر وزيد في أجل البعث وذلك قوله وما يعمر
من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب وقال مجاهد وسعيد بن جبير الأجل الأول أجل الدنيا والأجل
الثاني أجل الآخرة وقيل الأجل هو الوقت المقدر وأجل كل إنسان مقدر معلوم عند الله لا يزيد ولا
ينقص والأجل الثاني هو أجل القيامة وهو أيضا معلوم مقدر عند الله لا يعلمه إلا الله تعالى وقال

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1